📚لسان العرب

ذاكرة اللغة وديوان العرب الخالد

في تاريخ الأمم، تبرز أعمالٌ موسوعية لا تكتفي بكونها مجرد كتب، بل تتحول إلى أوتادٍ تحفظ هوية الحضارة من الاندثار. وكتاب **"لسان العرب "**للعلامة **ابن منظور** ليس مجرد معجم للكلمات والمفردات، بل هو أكبر مدونة لغوية وأدبية عرفها التاريخ العربي، وجسرٌ عملاق يربط حاضر اللغة العربية بماضيها العريق.

في هذه المقالة، نبحر في أعماق هذا البحر الزاخر، لنستكشف درره، ومنهجه، وأسرار عظمته.

👳أولاً: التعريف بالمؤلف (ابن منظور)

هو **جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الرويفعي الإفريقي**، المعروف بـ **"ابن منظور**."

- **مولده ونشأته :**ولد عام ٦٣٠ هـ (على الأرجح في مصر أو طرابلس)، وعاش في القاهرة، وتوفي فيها عام ٧١١ هـ.
- **مكانته العلمية :**كان عالماً موسوعياً، أديباً، وشاعراً، تولى القضاء في طرابلس، وعمل في ديوان الإنشاء بالقاهرة.
- **شغفه بالاختصار :**عُرف عنه شغفه بقراءة المطولات واختصارها؛ فقد اختصر "تاريخ دمشق" لابن عساكر، و"الأغاني" للأصفهاني، وتوج هذا الشغف بجمعه لمادة "لسان العرب."

📖ثانياً: ما هو كتاب "لسان العرب"؟

يُعد "لسان العرب "**أشمل معجم لغوي عربي** على الإطلاق. فهو يضم حوالي **80,000مادة لغوية**، مما يجعله يفوق "القاموس المحيط" للفيروزآبادي بضعف الحجم تقريباً.

🌟لماذا هو فريد من نوعه؟

لا يكتفي الكتاب بشرح معنى الكلمة، بل هو **موسوعة شاملة** تحتوي على:

١. **الشواهد القرآنية**: تفسير غريب القرآن وإعرابه.
٢. **الأحاديث النبوية**: شرح غريب الحديث وتوضيح معانيه.
٣. **الشعر العربي**: يزخر بآلاف الأبيات الشعرية من العصر الجاهلي وصدر الإسلام للاستشهاد على صحة المعنى.
٤. **الأنساب والأخبار**: ذكر أسماء القبائل، والفرسان، والأماكن، والوقائع التاريخية المرتبطة بالمفردات.

🏗️ ثالثاً: المصادر الخمسة (أعمدة اللسان)

لم يبدأ ابن منظور من الصفر، بل أراد أن يجمع "أمهات" كتب اللغة التي سبقته في كتاب واحد، ليكون كتاباً يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره. وقد اعتمد بشكل كلي على خمسة مصادر رئيسية:

١. 📘 **تهذيب اللغة** للأزهري.
٢. 📗 **المحكم والمحيط الأعظم** لابن سيده.
٣. 📕 **الصحاح** للجوهري.
٤. 📙 **حاشية الصحاح** لابن بري.
٥. 📓 **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير.

جمع ابن منظور مادة هذه الكتب، ورتبها، ونقحها، وأضاف إليها ملاحظاته، ليخرج لنا هذا الصرح العظيم.

🔍 رابعاً: منهج ترتيب الكتاب (كيف تبحث فيه؟)

قد يجد القارئ المعاصر صعوبة في البداية عند التعامل مع "لسان العرب"، لأنه لا يتبع الترتيب الأبجدي الحديث (أ، ب، ت...) بناءً على الحرف الأول، بل يتبع نظام **"القافية"**.

🔑نظام الباب والفصل:

رتب ابن منظور الكلمات بناءً على **جذورها الثلاثية** (أصول الكلمة)، واتبع الطريقة التالية:

1. **الباب :**يُحدده **الحرف الأخير** من الجذر.
2. **الفصل :**يُحدده **الحرف الأول** من الجذر.

💡مثال تطبيقي:
لو أردت البحث عن كلمة **)كتب:(**

- لا تبحث في حرف الكاف.
- اذهب إلى **باب الباء**)الحرف الأخير.(
- ثم ابحث في **فصل الكاف**)الحرف الأول.(

ملاحظة: طُبعت حديثاً نسخ من "لسان العرب" أعيد ترتيبها وفق النظام الأبجدي الحديث (أ، ب، ت) لتسهيل البحث على المعاصرين.

✨خامساً: مميزات وقيمة "لسان العرب"

يمكن تلخيص عظمة هذا الكتاب في عدة نقاط تجعل منه مرجعاً لا غنى عنه لأي باحث أو أديب:

- 💎**غزارة المادة :**لم يترك شاردة ولا واردة في لغة العرب إلا أحصاها، وشمل اللغات (اللهجات) المختلفة للقبائل العربية.
- 🛡️**الأمانة العلمية :**كان ابن منظور ينقل النصوص كما هي من المصادر الأصلية، وإذا تصرف في النص أشار إلى ذلك، مما يجعله مرجعاً موثوقاً.
- 🧠**التنوع المعرفي :**هو كتاب أدب، وتاريخ، وفقه، وتفسير، ونحو، وصرف، وليس مجرد قاموس للمفردات الجامدة.
- 🎼**الاستشهاد بالشعر :**يعتبر خزانة للشعر العربي القديم؛ فكثير من الأبيات الشعرية لم تصلنا إلا عن طريق "لسان العرب."

🖨️سادساً: طبعات الكتاب

حظي الكتاب باهتمام المطابع منذ دخول الطباعة إلى العالم العربي، ومن أشهر طبعاته:

١. **طبعة بولاق (المصرية)** :وهي الطبعة الأم، صدرت عام ١٨٨٣م في ٢٠ مجلداً كبيراً، وتتميز بالدقة.

٢. **طبعة دار صادر (البيروتية)** :وهي الطبعة الأكثر انتشاراً وتداولاً بين الباحثين اليوم، لجمال إخراجها وسهولة قراءتها (تقع في ١٥ مجلداً).

٣. **طبعة دار المعارف** :وهي طبعة محققة ومفهرسة بعناية.

📝سابعاً: خاتمة

إن كتاب **"لسان العرب "**لابن منظور هو المعجزة التي حفظت لنا العربية في وقت كانت فيه الحضارة الإسلامية تواجه أعتى هجمات التتار والصليبيين. إنه الحصن الذي احتمت فيه اللغة، فخرجت منه إلينا سليمة معافاة، قوية البنيان.

قراءة "لسان العرب" ليست مجرد بحث عن معنى كلمة، بل هي سياحة في عقل العربي القديم، وفهم لطريقة تفكيره، وتصوراته عن الكون والحياة.

"من أراد أن يمتلك ناصية البيان، ويغوص في بحار المعاني، فعليه بلسان العرب، فإنه البستان الذي لا تذبل أزهاره🌹 ".

🔮ما وراء السطور: أسرار وخبايا لسان العرب

لم يكن "لسان العرب" مجرد عملية "قص ولصق" للمعاجم السابقة، بل كان مشروعاً حضارياً ضخماً لحفظ الهوية. فيما يلي نستكمل الرحلة باستكشاف زوايا جديدة:

🕰️أولاً: الدافع التاريخي (لماذا كُتب في ذلك الوقت؟)

لفهم عظمة الكتاب، يجب فهم الظرف التاريخي الذي كُتب فيه:

- **عصر الموسوعات :**عاش ابن منظور في العصر المملوكي، وهو عصر تلا سقوط بغداد وتدمير مكتباتها على يد المغول. شعر العلماء حينها بخطر ضياع التراث العربي والإسلامي.
- **رد فعل حضاري :**كانت الكتب الموسوعية (مثل "لسان العرب" في اللغة، و"نهاية الأرب" للنويري في الأدب) بمثابة **"سفينة نوح "**التي جمع فيها العلماء شتات العلم خشية الاندثار. لذا، كان هدف ابن منظور "الجمع والحفظ" أكثر من "النقد والتمحيص."

⚖️ثانياً: لسان العرب ومنافسوه (مقارنة معيارية)

كثيراً ما يُقارن "لسان العرب" بمعجم **"القاموس المحيط "**للفيروزآبادي. فما الفرق بينهما؟

وجه المقارنة	📘لسان العرب (ابن منظور)	📗القاموس المحيط (الفيروزآبادي)
الهدف	الشرح المستفيض، الأدب، والاستشهاد.	الإيجاز، الدقة، وحصر المعاني.
الأسلوب	يسرد القصص، والشواهد، والروايات (أسلوب روائي).	عبارات برقية قصيرة، ورموز مختصرة (أسلوب علمي جاف).
الحجم	ضخم جداً (نهر متدفق من المعلومات).	أصغر حجماً وأسهل حملاً (معجم جيب للعصر القديم).
لمن يصلح؟	للأديب، والباحث المتعمق، والمفسر.	للطالب، ومن يريد معرفة المعنى المباشر بسرعة.

🧩 ثالثاً: الهيكلية الداخلية للمادة (تشريح الكلمة)

عندما تفتح "لسان العرب" وتبحث عن مادة (جذر) معين، فإنك تجد ابن منظور يتبع نمطاً "شبه ثابت" ولكنه غير مفصول بعناوين، مما يتطلب تركيزاً، وعادة ما يكون تسلسل المعلومات كالتالي:

١. **المعنى اللغوي المباشر**: تعريف الكلمة واشتقاقاتها الصرفية.

٢. **الشواهد الشرعية**: ذكر الآيات القرآنية التي وردت فيها الكلمة، ثم الأحاديث النبوية مع شرح غريبها.

٣. **الشواهد الشعرية**: إيراد أبيات العرب (الجاهليين والإسلاميين) التي استخدمت الكلمة، وغالباً ما يشرح الأبيات الصعبة.

٤. **الأمثال العربية**: الأمثال السائرة التي تحتوي على هذه المفردة.

٥. **اللهجات (اللغات)**: الإشارة إلى اختلاف نطق القبائل (مثل: هذه لغة تميم، وتلك لغة أهل الحجاز).

٦. **الأعلام والبلدان**: ذكر الأشخاص أو الأماكن التي تحمل اسماً مشتقاً من هذا الجذر.

مثال: في مادة (عين)، لا يكتفي بتعريف العين الباصرة، بل يتحدث عن "عين الماء"، و"العين" بمعنى الجاسوس، و"العين" بمعنى الذهب، و"أعيان القوم" بمعنى سادتهم، مستشهداً بكل ما قيل في العرب عنها.

🧐 رابعاً: ملاحظات نقدية (للباحثين)

على الرغم من عظمة الكتاب، إلا أن الكمال لله وحده. وقد سجل الباحثون والعلماء بعض الملاحظات التي يجب الانتباه لها عند استخدام المعجم:

- **التكرار**: بسبب منهجه في الجمع من خمسة مصادر، قد تتكرر المعلومة الواحدة أكثر من مرة داخل نفس المادة بصياغات مختلفة قليلاً.
- **تداخل المعاني**: أحياناً يورد المعاني دون فصل واضح بينها، مما يجعل القارئ يتوه في النصوص الطويلة ليميز متى انتهى المعنى الأول وبدأ الثاني.

- **التصحيف الطباعي** :بعض الطبعات القديمة احتوت على أخطاء في نقل الشعر أو الأنساب، لذا يُنصح دائماً بالاعتماد على **الطبعات المحققة**)مثل طبعة دار المعارف أو صادر الحديثة.(

🦁خامساً: "تاج العروس".. الابن الشرعي للسان العرب

لا يمكن الحديث عن لسان العرب دون ذكر كتاب **"تاج العروس من جواهر القاموس "**للزبيدي (توفي ١٢٠٥ هـ).
لماذا؟
لأن الزبيدي جاء بعد ابن منظور بقرون، فأخذ مادة "القاموس المحيط"، وشرحها باستخدام مادة "لسان العرب"، ثم أضاف عليها ما فات ابن منظور من مفردات واستدراكات.
لذلك، يُقال" :**لسان العرب هو أوسع معجم في العصور الوسطى، وتاج العروس هو أوسع معجم في العصور المتأخرة."**

💡سادساً: كيف تستفيد منه اليوم؟ (نصائح عملية)

في عصرنا الرقمي، كيف نتعامل مع هذا التراث؟

١. **استخدم البحث الإلكتروني** :بفضل التقنية، يمكنك الآن البحث في "لسان العرب" عبر التطبيقات والمواقع (مثل "الباحث العربي") دون الحاجة لتقليب المجلدات والبحث في "باب" و"فصل"، وهذا يوفر وقتاً هائلاً.

٢. **للكتّاب والروائيين** :إذا أردت كتابة رواية تاريخية أو نص أدبي رصين، اقرأ في لسان العرب ليس للبحث عن معنى، بل **لشحن ذخيرتك اللغوية** بمفردات منسية وتراكيب مهجورة تعطي نصوصك نكهة الأصالة.

٣. **فهم الدين** :لن تستطيع تذوق بلاغة القرآن الكريم أو فهم دقة الأحاديث النبوية حق الفهم دون الرجوع لدلالات الألفاظ كما فهمها العرب الأوائل، ولسان العرب هو المفتاح لذلك.

📜 مسك الختام

لقد بنى ابن منظور هرماً من الكلمات يضاهي أهرامات الجيزة في الخلود. فإذا كانت الأهرامات تحفظ أجساد الفراعنة، فإن **لسان العرب يحفظ روح الأمة وعقلها**. إنه ليس كتاباً يوضع على الرف للزينة، بل هو حياة تنبض في عروق لغتنا الجميلة حتى يومنا هذا.

"وليسَ في كُتبِ اللُّغةِ أجْمَلُ، ولا أشمَلُ، ولا أكمَلُ من هذا الكِتاب" — من أقوال المعجبين بهذا السفر العظيم.
